



السؤال:

ما الموقف الشرعي من حب السوري لوطنه؟

وهل يجوز له أن يهتم ببلده أكثر من اهتمامه ببلدان المسلمين الأخرى، خاصة أن هناك من يقول: إن هذه الدول اليوم والحدود التي بينها من صنع الاستعمار لتفريق المسلمين، وأن هذا إقرار للحدود السياسية التي فرضها الاستعمار؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أولاً: وطن المرء هو مكان إقامته وسكنه. وإن الإنسان لوطنه وحبه له أمر فطري جبلي.

ففي صحيح البخاري عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم : (كان إذا قدم من سفر فنظر إلى جذورات المدينة أوضاع ناقتها وإن كان على ذاية حركتها من حبها)، قال الحافظ ابن حجر رحمة الله في "فتح الباري": "وفي الحديث دلالة على فضل المدينة، وعلى مشروعية حب الوطن والحنين إليها".

وبسبب هذا الإله والمحبة وجود القرابات والصحبة، وذكريات الصبا، وتقارب الطباع والعادات الاجتماعية، واتفاق اللهجة وغيرها، كما قال ابن الرومي:

وحببْ أوطانَ الرجال إِلَيْهِمْ **** مَاربْ قضاها الشيَّاب هنالكَا
إِذَا ذَكَرُوا أوطانَهُم ذَكَرُهُمْ **** عهُود الصبا فيها فحنوا لذلِكَا

وقد يدفعه هذا الحب أن يخصه بأمر دون غيره، أو يقدم أهله على غيرهم فيما لا ظلم فيه ولا اعتداء، وهذا كله لا حرج فيه. وفي العصر الحديث أصبح الوطن يطلق على البقعة الجغرافية السياسية التي تقع ضمن الحدود التي رسمت لكل دولة. وفي هذه الحالة قد لا تكون جميع الدولة "وطناً" للمرء بالمعنى اللغوي، بل إن بعض الحدود قسمت أبناء القبيلة الواحدة، وهم يعذّبون أرضهم الموزعة بين عدة دول وطناً لهم، ولا يعذّبون الأرض البعيدة التي تقع ضمن حدود دولتهم وطناً لهم. ومع ذلك فإن هذه الحدود - وإن كانت مصطنعة - إلا أن طول العهد بها وانتظام أهلها تحت قوانين موحدة أورثهم نوعاً من

الانتقام والميل الفطري إلى بلدهم، وهذا أمر شعوري معتاد لا يلزم منه الإقرار بهذه الحدود أو الرضا بها.

ثانياً: إذا تعلق بالمكان فضيلة شرعية فأحبه المرء لذلك، فإنه يُؤجر على حبه إياه.

من ذلك: أن يحب بلداً من أجل محبة الله له، أو لما خص الله به من الفضل والخير والبركة. وعلى رأس هذه الأوطان: مكة المكرمة، ثم المدينة النبوية، ثم بيت المقدس وبلاط الشام واليمن.

وقد يحب المكان أيضاً لإقامة الشرع فيه، أو لظهور شعائر الإسلام في ربوته، أو لكونه أرض جهاد أو رباط.

ثالثاً: قد يُفضي حب الوطن إلى محَرَّم، لأن يتعلّق الإنسان بوطنه فيترك الهجرة والجهاد في سبيل الله من أجله.

وقد نَهَى الله - سبحانه وتعالى - الذين يفعلون ذلك، وتوعَّدهم بأشد الوعيد، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمْ كُنْتُمْ كُنَّا مُسْتَحْسِنِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتَهَا جِرَوْا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}. [النساء: 97].

ومن ذلك أيضاً:

أن يتعصّب للوطن، فيجعله ولاءه وبراءه وعطاه ومنعه وقتاله ودفاعه كل ذلك في سبيل الوطن، بل يصوغ محياه ومماته على منهج الوطنية الوثنية لا الإسلامية الربانية، حتى قال بعض الشعراء:

وطني لو صوروه لي وتنا **** لهمْتُ أَلْثِمْ ذلك الوثنَا

فقد الولاء والنصرة يجب أن يُبني على الدين، فال المسلمين إخوة مهما تباعدت أقطارهم وتناثر ديارهم، والمسلم للمسلم كالبنيان، ولا يجوز بحال أن تطغى الحدود المصطنعة على الرابطة المقدسة التي رضيها الله لعباده المؤمني. فليحذر المسلم أن يوالي ويعادي على أساس جنسيته ودولته، وأن يُقدّم رابط الدولة على رابط الدين، فيقدم ابن بلده الفاسق على ابن دولة آخر صالح، أو ينشط لمساعدة المنكوبين المسلمين في دولته، ولا يكتثر لمن كانوا في نفس الحاجة أو أشد في دولة أخرى بحجة أنه يحمل جنسية هذا الدولة، ولا يحمل جنسية الدولة الأخرى.

رابعاً: ما فرضه الواقع من حدود للدول وحقوق سياسية للمواطنين، وتسهيلات لهم لا تعطى لغيرهم من سهولة الحركة والتنقل والعمل فيها وغير ذلك، إضافة إلى أن البلدي أدرى بيده من غيره وأهل مكة أدرى بشعابها كل هذا يجعل من الحكمة والمصلحة أن يخص الدعاة والمصلحون دولهم بمزيد من الاهتمام والجهد؛ لأنه يمكنهم أن يفعلوا لها ما لا يفعله غيرهم.

ولا حرج عندئذ أن ينصرف جُلُّ اهتمام السوريين إلى سوريا، والمصريين إلى مصر، وهكذا، كما قال الله: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَفَرَادِين} [الشعراء: 214]، مع مراعاة حق المسلم على المسلم عامة أيًّا كان بلده، ومع عدم التعصب لدولته. وليس هذا من الرضا بحدود المستعمر، بل من الوعي وفقة الواقع، وتوظيفه لخدمة الإسلام وأهله.

ألم تر كيف كان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يغشى القبائل في موسم الحج، ليعرض عليهم الإسلام، وقد كان في موسمهم من الشرك والتفاخر بالأنساب والقبائل ما فيه، أفكان غشيانه - صلى الله عليه وسلم - لهم رضاً بما يصنعون؟!

خامساً: ما بناه من أنَّ اهتمام كل أهل بلد بشؤون بلدِهم أمر سائع، لا يمنعنا من أن نذكر أهل الإسلام بواجبهم تجاه بلاد الشام عموماً، والثورة السورية في هذا الوقت تحديداً؛ فبلاد الشام هي عنوان البلاد الإسلامية وصلاحها صلاحها، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ فَلَا خَيْرَ فِيهِمْ) رواه الترمذى.

والطائفة المنصورة هي في بلاد الشام، فعن عَمِيرُ بْنُ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعاوِيَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ - صلى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفُهُمْ حَتَّىٰ يُأْتِيهِمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، قَالَ عُمَيْرٌ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ [أَحَدُ الرِّوَاةِ] قَالَ مُعَاذٌ: وَهُمْ بِالشَّامِ مُتَفَقُ عَلَيْهِ.

وسوريا هي الرئة الكبرى التي يتنفس منها الصفويون والرافضة، فإذا سقط النظام الأسيدي المجرم سقط المشروع الصفوبي في المنطقة، وإذا طهرت دمشق من رجس الباطنيين والرافضة فهو إذن بتطهير بيت المقدس من رجس الصهاينة بإذن الله.

نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمِعَ شَمْلَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُوحِّدَ كَلْمَتَهُمْ، وَيَرْدِهِمْ إِلَى دِينِهِ رَدًّا جَمِيلًا.

المصادر: